12me Année No. 574 — Lundi - 3 - 7 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٧٤ — « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ رجب سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣ يولية سنة ١٩٤٤ » — السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

العـــلم والعلماء

فى رعاية الاسلام والعربية

للدكتور عبد الوهاب عزام

إن الذين يعيشون فى حماية القانون وحراسة الشرطة ورقابة القضاء ، الذين يعيشون فى الحضَر بين جُدرانه وأبوابه وشوارعه ودروبه ، يحسبون أن جماعة لا يسيطر عليها سلطان قاهر ولا يقهرها قانون نافذ ولا يقوم بين أفرادها قوّامون من الشرط والجنود هي جماعةٌ مُسلَّمة للقتال والنهاب ، يبطش قويها بضعيفها ، ويفتك المسلح فيها بالأعزل ، ولكنا نرى جماعات بادية تعدل بينها سُنَن العيش ، وتمسك بها دون العدوان الرغبةُ والرهبة ، ويقوم عليها عرف عادل مسلط . وربما يظفر فيها الفرد من الحرية ورعاية الحق والواجب بما لا يظفر به إنسان الحضر ، ويقيده العرف بأكثر مما تقيد الحضرى سلاسل القانون

وكذلكم يحسب الذين يعيشون فى هذا العصر ، يرون ضروباً من دور التعليم تتداول الناشئ منذ الطفولة إلى أن يبلغ الثلاثين أو يجاوزها ، ويرون وزارات المعارف تسيطر وتدبر وتنفق ، ويبصرون سُنناً شتى ونظماً مختلفة لتلقين العلم وتفقيه

التعلم ، ويسممون دوياً مستمراً فى التعليم والتربية ، وجدالاً متمادياً فى وضع القوانين ونقضها وخط الخطط وتغييرها — يحسب الذين يشهدون هذا ويسمعونه أن جماعة ليس فيها وزارة المعارف تضع القوانين وتنشئ المعاهد وتنفق الأموال ليس لها من العلم نصيب ، ولكنا نرى فى تاريخ الأمم كلفاً بالعلم ودأباً عليه وتبحراً فيه . ونقرأ عن العلماء النابغين فى كل علم والصناع الماهرين فى كل صنعة ، ولم يقم على هذه العلوم والصناعات وزارة المعارف ولا حشر لها ما نعهد اليوم من الموظفين والقوانين والأموال والأعمال

وفى تاريخ الإسلام ما يحير القارئ من الحث على العلم والدأب على تحصيله والولع به واحتمال المشقة فى سبيله والرحلة إلى الأقطار البعيدة من أجله ، والتنافس فيه ، فقد جاء الإسلام داعياً إلى العلم حاثاً على النظر فى ملكوت السموات والأرض وسمّى دستوره الكتاب والقرآن ، وكانت أول كلمة نزلت من القرآن (اقرأ) . وحمل العرب أمانة الإسلام ، ورعوا سنن القرآن، فاجتمعت الأمم فى رعايتهم على حب العلم وطلبه ، والكد فيه والدأب عليه حتى صار العالم الإسلامى كله كمدرسة واحدة يجدُّ معلموها ومتعلموها فى التعليم والتعلم . ويقوم عليها خلفاء وأمراء وكبراء يبذلون من جاههم ومالهم لأولى العلم . وقد بلغ الخلفاء بالعلم والعلماء منزلة التقديس . وأثرت عنهم فى هذا سيَر لا يعرف الزمان نظائرها ولا يعى التاريخ أشباهها . هذا هرون الرشيد يصب الماء على يد عالم ضرير ويقول إنه يفعله إكراماً للعلم ، وولداه الأمين والمأمون يتنافسان فى تقديم النعلين لأستاذهما الكسائى . والخليفة المعتضد بالله ، كان يوماً يطوف فى بستانه وهو آخذ بيد ثابت بن قرة الحرانى ، فجذبها دفعة وخلاّها ، فقال ثابت ما بذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : كانت يدى فوق يدك والعلم يُعلى ولا يُعلى عليه

وقد سار الخلفاء الأمويون والعباسيون والفاطميون وملوك بنى أمية بالأندلس وأمراء العرب جميعاً ، ثم الملوك المسلمون من بعدهم على سنن واحدة فى نشر العلم والحث عليه وإعزاز أهله والبذل لهم ، وبناء المدارس وخزائن الكتب وبلغوا فى هذا غاية ليس وراءها غايات

وما ظنك بأمة تدون القرآن ثم لا تعتمد على مصاحفه وحدها فتحفظه وتتلقاه بالرواية الشفوية لا تشذ منه كلة ولا حرف ، ثم لا تكتفى بهذا بل تروى طرائق النطق به على اختلاف اللهجات ، فتحفظ للكلمات طرقاً للأداء تخلدها فى الصحف وتحفظها بالمشافهة على مر العصور ؟ ثم ما ظنك بجماعة جمعت من أفواه الناس فى المشرق والمغرب أحاديث الرسول وقد مضت عليها عشرات السنين غير مدونة . بهذه الهمة سار المسلمون فى هداية شرعة الإسلام الواسعة ، وأخوة الإسلام الجامعة ، وفى رعاية العرب الأحرار وملوكهم الأخيار

طلب المسلمون العلوم الدينية واللغوية والعقلية فى كل مكان ، بكل الوسائل وعلى كل الأحوال ، وكانت البلاد الإسلامية كالبلد الواحد يرحل طلاب العلم فيه والعلماء من جهة إلى أخرى ويقطعون الفيافى البعيدة كما ينتقل أهل القطر الواحد من جانب فيه إلى جانب ، حتى صارت الرحلة سنة بين العلماء ، فمن لا يَرحل ولا يُرحل إليه لا ينال بينهم مكانة عالية . وكم تغلغل علماء اللغة والأدب فى البوادى يتلقون عن الأعراب جيلاً بعد جيل

وحسبنا مما تفيض به أخبار العلماء هذه المثل :

الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق المتوفى سنة ٥٧١ طلب العلم فى مكة ، والكوفة ، وبغداد ، وأصبهان ، ومرو الشاهجان ، ونيسابور ، وهراة ، وسرخس ، وأبيورد ، وطوس ، والرى ، وزنجان ، وقد عد شيوخه ألفاً وثلاثمائة ، منهم نيف وثمانون امرأة

والخطيب التبريزى اللغوى الأديب . يقول فيه ابن خلكان : (وكان سبب توجهه إلى أبى العلاء المعرى أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة تأليف أبى منصور الأزهرى فى عدة مجلدات لطاف . وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعرى . فجعل الكتاب فى مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة . ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل . وهى ببعض الوقوف ببغداد ، وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب)

وأبو القاسم سليمان بن مطير اللخمى الطبرانى الشامى المتوفى

سنة ٣٦٠ ، رحل فى طلب الحديث إلى العراق والحجاز واليمن ومصر والجزيرة الفراتية ، ولبث فى الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة وعدد شيوخه ألف

وتاج الإسلام أبو سعد التميمى السمعانى نقل ابن خلكان أنه وصل فى طلب الحديث إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وسافر إلى ما وراء النهر وخراسان عدة دفعات ، وإلى قومس والرى وأصبهان وهمذان وبلاد الجبال والعراق والحجاز والموصل والجزيرة والشام وغيرها ... وكان عدة شيوخه تزيد على أربعة آلاف شيخ

وانظر هـذا المثل فى الحرص على العلم إلى النفس الأخير . روى ياقوت عن بعض العلماء قال : دخلت على أبى الريحان البيرونى وهو يجود بنفسه قد حشرج نفسه ، وضاق به صدره ، فقال لى فى تلك الحال : كيف قلت لى يوماً مسألة كذا وكذا؟ فقلت له إشفاقاً عليه : أفى هذه الحالة ؟ قال لى يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها

غير العلماء الذين رحلوا لرؤية البلاد والأمم ووصفها عن عيان ، كالمسعودى الذى رحل إلى بلاد الفرس والهند وأطراف الصين وبلاد السودان وزنجبار ، فضلاً عن البلاد العربية وقال :

نطوف آفاق البـــلاد فتـارة
إلى شرقها الأقصى وطوراً إلى الغرب

وغير الرحالين المعروفين كابن جبير وابن بطوطه وابن سعيد

ولم يكونوا فى هذا الجمع كحاطب ليل بل كانت سنتهم فى أخذ العلم التثبت والإسناد . التزموا هذين فى الحديث ثم أشاعوهما فى العلوم الأخرى فصار ديدنا لكل عالم ومتعلم . وكان من تثبتهم أنهم لم يكتفوا بمـا يكتب وحده وسموا من يعتمد عليه صحفياً . والتزموا السماع من المشايخ الموثوق بهم والقراءة عليهم ، والاستجازة منهم ، فلم تقبل رواية شفوية أو مكتوبة إلا بسند مقبول ولم تقبل الكتب إلا بنسب يصلها بمؤلفيها . لم يقصروا عنايتهم على كتب الدين ، بل نالت كتب الأخبار التى لم تمت إلى الدين بصلة أو التى يتحرج منها المتدينون كأخبار الشعراء والمغنين ، كثيراً من عنايتهم . وحسبنا كتاب الأغانى .

وكثيراً ما نجد دواوين الشعراء فى نسخ عليها سماع يصحح نسبتها إلى أصحابها . وقد وضعوا للسماع أصولاً التزموها واهتدوا بها ، ومن عجيب ما روى من التثبت فى الرواية أن أبا على القالى البغدادى الذى رحل إلى الأندلس وأدّب الحكم المستنصر ولىّ عهد عبد الرحمن الناصر ، أعار تلميذه الحكم كتاباً من كتبه فأبقاه الحكم عنده مدة طويلة فلما رده إلى أستاذه أسقط الرواية به وقال : لا آمن أن يكون لحقه تغيير وهو عند الحكم

هـذا وقد كان التعليم فى أكثر مقاصده يراد به وجه الله وحفظ الدين وما يتصل به أو تكميل النفس ، والاستجابة لنزوعها إلى المعرفة . ولم يكن موصولاً بالمناصب والمرتبات كما نرى فى هذا العهد . لم يكن أهل العلم مضيعين ولم يكونوا محرومين من الجزاء الحسن ، ولكن لم يكن طلب العلم مرتبطاً بالشهادات والدرجات ارتباطه فى هذا العصر ؛ بل اختلف علماؤنا فى جواز أخذ الأجر على التعليم ، واستقبحوا أن يطلب العلم للمال والجاه ونحوهما

وسنذكر بعد ما قاله بعض العلماء حينما أنشئت المدارس ورتبت فيها الوظائف لطلاب العلم

دور العلم

كان طلب العلم فى المساجد وفى دور العلماء أحياناً ، وكانت خزائن الكتب مباءة درس كذلك . ثم أنشئت مدارس للتعليم خاصة

فأما المساجد فقد كانت دور علم فى البلاد الإسلامية على اختلافها فى هـذا ولا سيما المساجد الجامعة . فالجامع العتيق فى مصر وهو المعروف اليوم بجامع عمرو كانت فيه دراسة متصلة . وكان به فى بعض العصور أربعون حلقة للدرس لا تبرحه ، وبهذا الجامع درس الشافعى وتلاميذه ، وبه أملى الطبرى ديوان الطرماح . وفيه نشّىء أبو تمام ، وغشى حلقاته المتنبى

وجامع ابن طولون وهو أكبر جوامع القاهرة وأقدمهـا كانت تدرس به العلوم الدينية كما يدرس الطب والميقات ، وكذلك كان الجامع الأموى . قال ابن جبير : « وقد أجرى فيه كل يوم لأكثر من خمسمائة إنسان » . وكذلك كان جامع قرطبة فى الأندلس وجامع الزهراء ، وفيه أملى القالى كتاب

الأخـــذ عن أوربا

للدكتور محمد مندور

يردد بعض الناس هنا وهناك أن الشرق غير الغرب، وأنه لا سبيل لالتقائهما، ونحن فى الحق لا نعرف قولاً أكذب من هذا وبخاصة فى مجال الثقافة، حيث يشهد التاريخ أن التيارات الفكرية لم ينقطع لها مدد بين شطرى العالم، وإن كان من الصحيح أن لكل من هذين الشطرين خصائص مميزة إلى جانب ما يجتمعان فيه حقائق إنسانية عامة

والناظر فى تاريخ الحضارات يلاحظ أنها لم تتوقف قط عن التأثر ببعضها البعض، ولئن كان من الثابت أن الشرق قد كان مهد الحضارات؛ فإن الغرب لم يلبث أن أخذها عنه واتجه بها وجهات جديدة فنشر فى الروح مبادىء العقل واتجه بالنظر إلى العمل، وبذلك وسع من أسس الحياة الروحية كما مكن للانسان من استخدام المادة والسيطرة عليها

ولقد سبق للعرب أن اتصلوا بالحضارة الإغريقية القديمة، وأخذوا عن تلك الحضارة ما أمكن أخذه مما يصح عند العقول كافة كأصول التفكير الرياضى والفلسفى، وأما ما يتصل من تلك الحضارة بمقومات الحياة الاجتماعية والعاطفية، وهو ما تتميز به الحضارات، فلم يستطيعوا بداهة فهمه ولا قبوله أو نقله، ومن هنا لم يترجموا إلى لغتهم شيئاً من شعر الإغريق وإن كانوا على العكس من ذلك قد ترجموا جانباً من أسمار الفرس كالشاهنامه وغيرها. وربما كان ذلك لأن حياة الفرس التى يصورها ذلك الشعر كانت أقرب إلى حياة العرب من حياة الإغريق، ثم إن الدين قد لعب فى هذه المفارقة دوراً حاسماً، فالفردوسى شاعر مسلم وهوميروس وثنى

ولقد تجردت نفس الظاهرة ببلادنا منذ أن أخذنا ننقل عن أوربا فى أوائل القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، فالشعر بل والنثر الأدبى بمعناه الضيق كان آخر ما أخذنا فى نقله، بينما

الأمالى. ولا تزال المساجد حتى اليوم موضع درس

وأعظم المساجد صيتاً فى التعليم فى عصرنا الجامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة فى تونس، وجامع القرويين بفاس

ثم أنشئت دور للتعليم خاصة، من أقدمها بيت الحكمة الذى بناه الرشيد فيما يظهر، وكان للترجمة والتعليم. روى القفطى فى أخبار بنى موسى بن شاكر أن المأمون أوصى بهم إسحق ابن إبراهيم المصعبى وأثبتهم مع يحيى بن أبى منصور فى بيت الحكمة . . . إلى أن قال: فخرج بنو موسى بن شاكر نهاية فى علومهم، وكان أكبرهم وأجلهم أبو جعفر محمد، وكان وافر الحظ من الهندسة والنجوم عالماً بأقليدس والمجسطى وجميع كتب النجوم والهندسة والعدد والمنطق

وفى القرن الثالث الهجرى أراد المعتضد بالله العباسى أن يبنى ببغداد جامعة. روى المقريزى أن الخليفة المعتضد لما أراد بناء قصره فى الشماسية ببغداد استزاد فى الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد، فسئل عن ذلك فذكر أنه يريد ليبنى فيه دوراً ومساكن ومقاصير يرتب فى كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجرى عليهم الأرزاق السنية ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه، ولم يكن رأى المعتضد عجبا فى ذلك العصر الذى أولع فيه الناس بالعلم ومهدت وسائله، ولم يكن جديداً فيه إلا جمع الناس فى مكان واحد

ثم أنشئت جامعة القاهرة التى سميت دار العلم فى القرن الرابع. أنشأها الحاكم بأمر الله، وفتحت للناس يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ٣٩٥، وحملت الكتب إليها للنسخ والقراءة، ودرس بها القراء والنحويون والأطباء والمنجمون ودرس الحساب والمنطق

قال المقريزى: وأباح ذلك كله للناس على اختلاف طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها . . . وحضرها الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم، وجعل فيها ما يحتاج إليه الناس من الحبر والأقلام والورق والمحابر

(للحديث بقية)

عبد الوهاب عزام

الرصافي ، والحر ، ووحدة الوجود

للأســـتاذ دريني خشبة

الدنيا حر ! والكلام في الفلسفة ، وفي وحدة الوجود كما يفهمها الأستاذ الفاضل ، معروف الرصافي ، يزيد رهق هذا الصيف القاهري القائظ ، والناس لهذا السبب محتاجون إلى ما يسليهم لا إلى ما يكربهم ، ويؤجج الدنيا من حولهم ، ويزيدها سموماً إلى سموم ...

إلا أننا مع ذاك لا نرى بداً من العودة إلى هذه القضية ، قضية الأستاذ الفاضل ، معروف الرصافي ، أو قضية وحدة الوجود ، مكرهين ، بعد إذ حسبنا أننا قلنا فيها الكلمة الأخيرة ، أو كلتنا نحن الأخيرة على أقل تقدير ...

فأستاذنا الفاضل المحبوب (نقولا الحداد) يتفضل فيشرف هذه القضية بالاشتراك فيها ، في حيّز خاص ، ويلاحظ أننا لم نورد تعريفاً لنظرية وحدة الوجود ، ولا اقتبسنا هذا التعريف عن كتاب الرصافي (إن كان الرصافي قد عرّفها) ثم قال حفظه الله إن مقالنا الثالث زاد النظرية غموضاً ، بل جعلها (تغيب وراء سحب تلك الفلسفات السفسافية التي يعجز القارئ عن أن يحصل منها معنى معقولاً) . ثم أخذ الأستاذ الجليل يفيض علينا بعد ذلك من علمه الغزير الذي طالما انتفعنا به ، شارحاً رأيه ، أو رأي العلم الحديث ، في نشأة الخليقة ، مما لا نعرض له هنا بخير أو شر ... لأن الدنيا حر ، كما بدأنا هذه الكلمة ، ولأن الرجل الذي لا يعترف بالوجود إلا للمادة ، ويقرر أنه ليس وراء الطبيعة شيء ... وأنها — أي الطبيعة — هي كل شيء وأنه يعتبر مسئلة نسبة الله إلى الوجود ، أو نسبة الوجود إلى الله مسئلة فقهية لا هوتية لا يتعرض لها بتاتاً ... ذلك الرجل الفاضل الذي يقول هذا جازماً به غير متردد فيه ، لا بد أن يكون بطل هذا الموضوع . والبطولة في هذه الموضوعات الشوائك تفتح أبواباً ليس في فتحها خير لأحد ، لأنها تفضي إلى مجادلات فارغة ، وتولد خصومات مرة . بل ربما أحدثت فتنة لا تصيبن الذين ظلموا خاصة

ونحب أن نوضح موقفنا في هذه القضية التي ابتلانا بها الأستاذ الفاضل معروف الرصافي ، كي يقتصد بعض كتابنا الأجلاء ، وأدبائنا المحترمين ، فلا يحرفوها عن مواضعها ، ولا يمدوا بها عما أردنا أن نحصرها فيه . فقد ألف الأستاذ الرصافي كتابه تعليقاً على كتابي صديقنا الأعز الدكتور زكي مبارك : التصوف الإسلامي والنثر الفني ، ثم تعليقاً على كتاب لمستشرق إيطالي يدعى (لئونا كايتاني) سماه (التاريخ الإسلامي) ، والتعليقات على الكتابين الأول والثالث تعليقات من وجهة نظر تعد إسلامية بحتة ، وقد ذكرنا شيئاً كثيراً عن معتقدات الأستاذ الرصافي الذي لا يفهم معنى للآية : لا إله إلا الله ... ويرى الصحيح أن يقال : لا إله إلا الوجود . وينكر الوحي على الصورة التي يؤمن بها المسلمون ، وينكر أن القرآن كلام الله . ويكرر عبارة ... قال محمد في القرآن ، في معظم صفحات كتابه ، ثم ينكر البعث على صورته الإسلامية ، وينكر الحساب والثواب والعقاب ، ويؤولها تأويلاً سخيفاً مضحكاً أشرنا إليه فيما كتبنا من قبل . ويؤمن — كما ننقله بحروفه من مقالنا الثاني (العدد ٥٧١) — بوحدة الوجود فيقول : « إن البحث والتفكير قد ألجآني إلجاء لا محيص عنه إلى الإيمان بوحدة الوجود (ص ١٩) » ، وأن الله هو الوجود المطلق اللانهائي (ص ١٣) ، ويدعي أن كل شيء في هذا العالم جزء من الله ، أو أن المخلوقات « مظاهر للوجود الكلي » كمظاهر الأمواج لماء البحر الأعم ، (وقد فاتنا أن نذكر أن هذا التشبيه ليس من اختراع الرصافي ، بل إنه قد أخذه عن شيخه التلمساني أحد القائلين بهذا الإفك — ولا يؤاخذنا الأستاذ زكريا — (كتاب الحجج النقلية والعقلية للعلامة ابن تيمية ص ٧٩) ، وهذه هي وحدة الوجود التي يؤمن بها الرصافي ، الله هو العالم والعالم هو الله ، وأن ممن قال ذلك في القرآن في سورة الحديد : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » ؛ فإن هذه الآية تدل بمفهومها دلالة صريحة على أن لا موجود إلا الله . . . هو الأول الذي ليس له بداية ، والآخر الذي ليس له نهاية ، وليس معنى هذا إلا أنه هو السرمدي اللانهائي ، وهو الظاهر الذي نراه بأعيننا وندركه بحواسنا ، (أي نراه ونشمه ونسمعه ونذوقه ونحسه ، ولا أدري ماذا

أيضاً !) والباطن الذى لا نراه ولا ندركه ، وليس معنى هـذا إلا أنه هو كل شيء ، وأنه لا موجود غيره . ونحن إذا أخذنا صفو المعنى من عبارة الآية قلنا بأن الله هو الموجود الكلى المطلق اللانهائى ، وأنه لا موجود غيره . هذه هى وحدة الوجود التى هي أساس مذهب التصوف وهذا منشؤها » (بحروفه من الرسائل ص ١٣)

وقد فرع الرصافى من هـذه النظرية كل ما ذهب إليه من إنكار ما أنكر من صميم العقائد الإسلامية التى تخرج منكرها من حظيرة الإسلام ، ثم فرع منها تساوى التضادات ، فالخير مثل الشر ، ومصيرهما واحد ، والتقى مثل الدعارة ، والكفر مثل الإيمان ، والأبيض مثل الأسود ، والعقل مثل الجنون ، وتكفير العلماء المهذبين مثل تخريف الجهلاء المخرفين ، ولا فرق بين فضيلة ورذيلة . والمغفل لهذا السبب ، هو الذى يحرم نفسه من لذة أتيحت له ، سواء أتاحها له الرحمن أو هيأها له الشيطان ...

والأستاذ الفاضل معروف الرصافى ، يدعونا فى آخر كتابه إلى الأخذ بآرائه هذه ، ويعزو غفلة المسلمين وتأخرهم إلى التمسك بحرفية الإسلام وعدم تأويله كما تزخرف له الأباطيل التى فرعها عن تلك النظرية . وقد ذكرنا فى مقالنا الأول ، كما ذكرنا فى مقالنا الأخير أنه لولا هذه الدعوة لأهملنا الرد على ترهاته إهمالاً تاماً . . . لأننا لسنا موكلين بأفهام الناس ، ولا جعلنا الله قوامين على حرية الفكر

من هذا يرى أستاذنا الفاضل المحبوب نقولا الحداد أن القضية قضية إسلامية ، زعم الرجل المسلم الذى أثارها - أنها من تفكير رسول المسلمين ، وأن متصوفة المسلمين هم الذين أذاعوا بها ونشروها ، مما اضطرنا إلى نقض هـذا الزعم بإثبات وجودها فى الفلسفة اليونانية . . . فى ذلك المقال الذى لا أدرى والله كيف زاد النظرية غموضاً

ومن هذا يرى أستاذنا الفاضل المحبوب نقولا الحداد ، أننا قوم مسلمون ، قام فينا رجل ينقض لنا معتقداتنا ، ويزعم لنا أن الحمير والبغال والجمال والحمام والبط والأوز والهوام والضفادع وكل ما يدخل فيها ويخرج منها هو جزء من الله الذى نعبده ونؤمن به ... وأننا نستطيع أن ندرك هذا الإله فنراه ونشمه ونتذوقه ونسمعه ونحسه ونأكله ونشربه ونلفظه ونبنى به بيوتنا بجميع غرفها وجميع « مرافقها ! » فننام فيه ونخرج منه - ولا نخرج منه إلا إليه ! - ثم يأتى يوم فنهدمه !

أفإن زعم لنا هذا الرجل تلك المزاعم ، وزعم لنا أن رسولنا الكريم هو صاحب هذا اللغو . وأن ما نؤمن به من إله قدير خلق هذا العالم ولا يعقل أنه هو ... أو هو إياه ! - باطل أوقعنا فيه قصر نظرنا . ثم غلا بعد ذلك فهدم المعايير الأخلاقية بقوله فى تساوى المتضادات ... فهل يوافق أستاذنا الجليل المحبوب « نقولا حداد » على ترك هـذا الإفك ، يسمم عقول المسلمين ، وإغفال تلك الأراجيف تعبث بالفضائل التى يحثنا عليها ديننا الكريم القويم ؟!

لست أدرى لماذا أوجه هذا الحديث كله إلى الأستاذ نقولا الحداد ، ولا أوجه شيئاً منه إلى الكاتب الأديب الفاضل الأستاذ زكريا إبراهيم (الليسانس فى الآداب والفلسفة بدرجة الشرف الأولى) الذى طالما أثنيت على رقائقه الجيلة لأستاذنا الزيات ، شفاه الله وعافاه ، وحفظه للأدب والدين ، وإن أنكر الرصافى المنوار فائدة الصلوات والأدعية

لست أدرى لماذا لا أوجه شيئاً من هذا الحديث إلى أخينا الأستاذ زكريا ؟! ألكونه جعلنا فى كلمته الطيبة من العوام الذين يرمون الناس بالإلحاد ويمنحونهم ألقابه التى لا تكلفهم شيئاً ؟ أم لكونه جعلنا نكرة حيث تفضل علينا بتلك الإشارة العظيمة الكيسة التى سوف تكسبنا الخلود ! لا هذا ولا ذاك ... فنحن مع ذلك نعترف بقيمة ما قرأناه لهذا الأديب المفكر المهذب ، ولكنا بالرغم من حسن رأينا فيه ، نصر على توجيه السؤال التالى إليه :

أيؤمن حضرته بأن هذا العالم غير موجود ؟ وبما انتهى إليه ابن عربى من أن العالم متوهم ما له وجود حقيق ، لأنه ليس ثمة غير حقيقة واحدة لا تتكثر ولا تتغير ، وهـذه الحقيقة الواحدة هى الله أو الحق ، وأنه ما ثم إلا الله الواجب الوجود ، الواحد بذاته ... الخ ؟

على هامش النقد

عرائس وشـــياطين

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

للأســتاذ سيد قطب

« هذه الصفحات نخبة مجموعة من وحى العرائس ذوات الشياطين ، أو من وحى الشياطين ذوى العرائس . تلقيناها من من هؤلاء وهؤلاء وجمعناها هدية إلى القراء . وكل ما توخيناه فيها أن نتجنب التكرار كما نتجنب الاسفاف والاطالة

« فهذه قصائد من الشعر العربى أو العالمى ، يكثر فيها الايجاز ويقل الاسهاب ، ويندر فيها المشهور المتكرر على جميع الأسماع . . .

« وحسبنا منها شرط واحد نرجو أن يتحقق لها جميعاً فى رأى قرائها ، وذلك أنها ـ وهى من وحى العرائس والشياطين ـ خير ما يقرب الانسان إلى قلب الانسان »

عباس محمود العقاد

جدّ لى رأيان متناقضان فى هـذه المجموعة ، هما اللذان أستعرضهما هنا مع القراء : فى أثناء القراءة الأولى السريعة ، ولم أنته بعد من المجموعة ، ولم أتبين مواقع قصائدها ومقطوعاتها فى نفسى . فى هـذه القراءة التى يلتفت فيها الذهن إلى أكثر الأشياء التماعا ويلتفت فيها الحس إلى أشد الأصوات تصدية . . . عندئذ قلت : إن الشعر العربى يستطيع أن يقف على قدميه أمام الشعر العالمى

وحينما انتهيت من قراءة المجموعة وخلوت إلى نفسى أتبين موقع كل قطعة وكل قصيدة ، وألمح وراء الألفاظ والمعانى ، ما ترسمه من ظلال إنسانية وما تصوره من حالات نفسية . عندئذ قلت : إن هـذه المجموعة صحيفة اتهام للشعر العربى !

فأى الرأيين هو الخطأ ، وأيهما هو الصواب ؟

مرجع الحكم فى هذا هو طريقة إحساسنا بالحياة ، وحقيقة مطالبنا من الشعر . فأما أنا فلا أتردد فى القول بأن الحياة فى صميمها إن هى إلا انفعالات واستجابات ، وعواطف وحالات نفسية ، وأن الأفكار والمعانى إن هى إلا بلورات صغيرة على سطح الحياة ، وكثيراً ما تكون معوّقات لجريان الحياة ، وإن كانت فى أحيان قليلة تساعدها على التعمق والنفاذ

أيؤمن حضرته بأن هذه الأرض التى نعيش فوقهـا وهى تسبح بنا فى السموات وهم فى وهم ؟ وأن الشمس التى تنير لنا ظلمات البر والبحر ، وهم فى وهم ، وأن كل شىء من هذه المدركات وهم فى وهم ، حتى الأستاذ زكريا نفسه وهم فى وهم ، وأن ليسانسيه الآداب والفلسفة بدرجة الشرف الأولى التى حصل عليها بعد أن أذاب بصره وصهر مخه وهم فى وهم ، وأن أساتذته المحترمين المبجلين وهم فى وهم ، وأن البطيخ اللذيذ البارد الذى يطفئ حر الظمأ فى هذا الصيف القائظ وهم فى وهم ، وأن باعة هذا البطيخ الذين يشتطون فى ثمنه هذه الأيام وهم فى وهم ؟!

أيؤمن حضرته بأن جدار غرفته التى يقرأ فيها كتب فلسفاته وهم فى وهم ، وأنه لو نطح برأسه هذا الجدار لما سال الدم منه لأن الجدار وهم فى وهم ، ولأن رأسه وهم فى وهم ، وحتى لو فرض أن سال الدم ، فالدم وهم فى وهم ؟ ! ما هـذه الفلسفة يا عالم ؟! ولماذا يعز عليكم أن نصف هذه الفلسفة بأنها إفك وأنها تنطوى على كثير من الأراجيف ؟ ولماذا يكون من قلة الإنصاف أن نحكم على الفلسفة باسم الدين ، ما دامت هذه الفلسفة كما رأى الأستاذ زكريا تحاول نقض ديننا الكريم القويم ، وما دامت هـذه الفلسفة تدعونا إلى ذلك التدهور الأخلاقى والتحلل من جميع الآداب ؟ أيؤمن الأستاذ الفاضل زكريا إبراهيم بتساوى المتضادات كما يؤمن الرصافى ؟ أيؤمن بأن الدعارة كالتقى ، وأن إكباب المرء على حليلته لا يقل عن سجوده بين يدى الله ؟ أم أن هذا هو حكمنا على الفلسفة باسم الدين ، وهـذا قدر ذلك الحكم من الخطأ والمجازفة والتعسف ؟

وما رأى أستاذنا الفاضل المحبوب نقولا الحداد فى هـذه الفلسفة التى لا تعترف بالعالم ، أو بالطبيعة التى لا يؤمن حضرته بما عداها ؟!

يا عالم ... الدنيا حَر ، ونحن موجودون ... فكونوا أنتم وهماً فى وهم ... ودعوا لنا ديننا الفطرى الجميل الساذج ... فالعالم يجد وأنتم تلهون .

دريني خشبة

وليس « الإنسان » الراقى هو الذى تستهويه المعانى المجردة والأفكار المبلورة ، ـ كما يعتقد الكثيرون ـ ولكنه الإنسان الذى يتعمق حسُّه أدقّ المشاعر وأجلها ، والذى يدرك نبضات الحياة وانفعالاتها ، والذى يتخذ من ذلك كله غذاء لحسه وفكره جميعاً

والشعر هو نبضة قلب قبل أن يكون لمعة فكر ؛ وهو خفق حياة ، قبل أن يكون فكرة ذهن ، وهو حالة نفسية قبل أن يكون قضية فكرية ؛ وهو ظلال إنسان قبل أن يكون التماع أفكار ، ووسوسة أفئدة قبل أن يكون رنين ألفاظ

فإذا نحن نظرنا إلى الشعر العربى بهذه العين فى مجال الشعر وجدناه فقيراً فى الظلال الإنسانية والحالات النفسية بمقدار ما هو غنى بالأفكار والمعانى والاستجابات الحسية المباشرة التى لا تتعمق النفس الإنسانية إلى مدى بعيد

والتعبير العربى ـ وبخاصة فى الشعر ـ تعبير مباشر أقرب ما يكون إلى الاستجابة الحسية ، فهو يؤدى الفكرة أو المعنى ، ثم لا تلمح وراءه مخلوقاً إنسانياً . إنك تلمح ولا شك فكراً وحساً ، ولكن المخلوق الإنسانى الذى يشتمل الفكر والحس ويشتمل بجوارهما حياة آدمية كاملة قلما تلمحه وراء التعبير العربى

ولقد خيل إلى مرة أن هذه اللغة نبتت فى الظهيرة على صحراء مكشوفة . فهى لا تلقى حولها ظلا . ليس هناك ما يسمونه « بين السطور » كل لفظ وكل تعبير يقابله معنى أو فكرة ، ثم لا شيء وراء المعنى ووراء الفكرة . لا ظل . لا صورة . لا رؤى فى الضباب غير مميزة الملامح بينما تثير فى النفس شتى التخيلات وشتى الاهتزازات

وبمقدار الغنى فى الأفكار والمعانى الذى تضمنه الشعر العربى ، كان الفقر فى الرؤى والأحلام ، وفى الصور والظلال ، وفى الحالات النفسية ، والملامح الإنسانية ؛ وهذا هو مفرق الطريق بين الشعر العربى وكثير من الشعر العالمى فى مجموعة « العرائس والشياطين »

حتى شعر الغزل عند العذريين وغير العذريين ، قلما تجد فيه وراء اللفظ إلا المعنى ، ووراء التعبير إلا الفكرة . قلما تلمح الحالة النفسية والملامح الإنسانية ، قلما تسمع الوسوسة والهينمة التى لا تعرف مصدرها ، ولا تدل عليها الألفاظ بذاتها ، ولكن تدل عليها الظلال التى تلقيها الألفاظ وتتوارى خلف التعبيرات .

إن بيتين ساذجين بسيطين كقول مسلم بن الوليد (فيما أذكر) وقد حضرته الوفاة وهو وحيد غريب وليس حوله إلا نخلة بجرجان يناجيها فيقول :

ألا يا نخلةً بالسَّفح من أكناف جُرجان
ألا إنى وإياك بجرجان غريبان

إن هذين البيتين لهما نموذج راق فى الشعر العربى ، وهو نموذج متواضع بالقياس إلى الشعر العالمى ، ولكنه كذلك نموذج نادر !

فماذا فى هذين البيتين الساذجين . فيهما أن المعنى والفكرة يتواريان ليفسحا المجال للصورة الإنسانية والحالة النفسية . صورة الإنسان الغريب المفرد تقربه الغربة من كل مخلوق ، ويرهفه الانفراد إلى الأنس بكل كائن ، وخلع الحياة عليه ومعاطفته معاطفة القريب للقريب

وعلى هذا النحو ينبغى أن ننظر إلى الشعر ، على أساس ما يثير فى نفوسنا من أحاسيس ، وما يرسم لخيالنا من صور ، وما يطلقنا من أعيان الفكر المحسوسة المحدودة ، ويصلنا بصور الإنسانية وبالحياة المكنونة . وذلك فيما اعتقد واجب شعراء الشباب

ولكن حذار أن نفهم من هذا ما يفهمه بعضهم من تلك الفوضى . إن الشعر ـ مع هذا ـ ليس تهيؤات مخبول ، ولا تهاويل مذهول . والحالات النفسية المطلوب تصورها ، ليست هى خلط المجانين ، وتداخل الاستعارات وتراقص التعبيرات . إن بين الشعر وبين هذه التهيؤات والتهاويل لبعداً سحيقاً ، فإذا لم يكن بد من هذا البلاء فلا ، والشعر العربى القديم بحسيته وتجريده أقوم وأهدى ، وأخلد فناً

* * *

وإلى القراء بعض الأمثلة الحاسمة بين المعانى والأفكار ، وبين الحالات النفسية والصور الإنسانية فى قطعة من مجموعة العرائس والشياطين ، للشاعر الإنجليزى الحديث « هوسمان » بعنوان « إلى السوق أول مرة » وليست هى بأغنى ما فى هذه المجموعة من هذا الرصيد

النثر . فماذا تسمى هذا من صاحب الكتاب ؟ إن لم يكن تناقضاً فهو على الأقل عدم دقة في الفهم والتفكير

ولعلك لاحظت أن صاحب الكتاب حين أراد أن يحكم بين الشعر والنثر في المنزلة بادعائه مواطن للقول لا تصلح إلا لأحدهما دون الآخر ، لم يتمم التقسيم من ناحية ، ولم يبين تلك المواطن من ناحية أخرى . لكن يظهر أنه ترك بقية التقسيم لفطنة القارىء ، وإن كان هو ليس عنده من الفطنة ما يتجنب به إبطال شهادة ثاني شاهديه ؛ أما مواطن كل من الشعر والنثر ، فقد عاد إلى تبيينها بقوله من صفحة ٣٦ : « قلنا إن الموضوعات هي التي تحدد نوع الصياغة ، فلنعمد إلى ذلك بكلمة حاسمة فنقول : إذا كان موضوع القول متصلاً بالمشاعر والعواطف والقلوب كان الشعر أوجب ، لأن لغته أقدر على التأثير والإمتاع ، وإذا كان الموضوع متصلاً بأعمال العقل والفهم والإدراك كان النثر أوجب ، لأن لغته أقدر على الشرح والإيضاح والإفهام والتبيين والإقناع » . وتلاحظ أنه هنا قد عدل عن صيغة القصر إلى صيغة التفضيل ، فهو يبيح لكل من النثر والشعر أن ينوب عن صاحبه ، وإن لم يسد مسده ويغن غناءه ، لكنك تلاحظ أيضاً أن كلمته الحاسمة هذه ، وإن كانت أرخى زماماً من كلمته الأولى التي لم يسبق إليها ، قد أخرجت الشعر من مجال العقل وأخرجت النثر من مجال القلب من حيث السبق في الإجادة والصلاحية للتعبير ؛ فالسبق دائماً للشعر في مجال القلب ، وللنثر في مجال العقل من غير نظر إلى الشاعر ولا إلى الكاتب . أي أنه لم يعر شاعرية الشاعر ولا كاتبية الكاتب أي التفات ؛ فمنده أن المواضيع المتصلة بالقلب يجب أن يتناولها صاحبها بالشعر ؛ فإن لم يكن شاعراً لم يكن له أمل في النبوغ . ومثل هذا يقول طبعاً في المواضيع المتصلة بالعقل . ولسنا ندري — ولا نظنه يدري — من أين له هذا الحكم النظري البحت ، وإن ادعى له الحسم . كما لا ندري ما رأيه في مثل معلقة الحارث بن حلزة ، وهي خطبة جدلية في قصيدة . لكن الأهم من هذا وذاك أنه وهو يبحث ويأتي بالحاسم من الرأي لم ير داعياً لأن يحدد الاتصال بالمشاعر والعواطف والقلوب ما نوعه وما مداه ، إذ غير معقول أن يكون كل ما اتصل بالشعور أولى به الشعر ، ولا كل ما اتصل بالفهم أولى به النثر ، وإن كان الثاني أقرب إلى المعقول من الأول . فالحارث بن حلزة ألقى خطبة شعرية للعقل والجدل منها أكبر النصيبين ، ولم يمنعه ذلك أن يذكر بها مدى الدهر . والخطب الوعظية أو الحماسية في الصدر الأول ، وبعد الصدر الأول ، لها من القلب والشعور أكبر النصيبين ، ولم يمنعها ذلك أن تؤثر ويذكر بها أهلها مدى الدهر ، فأين هو ذلك الحسم الذي ادعاه صاحب الكتاب بكلمته تلك ؟ إنها كلمة مبهمة ، لا حسم فيها ولا فصل ؛ وهي مثل للتقصير في النظر ، وعدم الدقة في التفكير وفي التعبير

على أننا نفرض أن صاحب الكتاب أراد بذلك الذي سماه اتصالاً بالمشاعر والعواطف والقلوب ، على أقل تقدير علاقة الحب . فهل تظنه حين هذا كان أدنى إلى الدقة في بحثه والاحتراس في التعبير ، أم سوى بين النثر والشعر في هذا الباب ؟ إن كنت تظن هذا فاقرأ ما كتب في صفحة ١٥٧ في فصل النسيب : « وفي القرن الرابع يظهر الغزل في النثر ظهوراً رائعاً بحيث يمكن مقارنة رسائل الغرامية بأقوى قصائد التشبيب ، ولا يمكن الارتياب في قدرة كتاب القرن الرابع على إجادة هذا الفن وتفوقهم في تصرفهم في ضروبه تصرف المبدعين » . فأين ذهبت إذن تلك الكلمة الحاسمة وذلك الرأي الذي لم يسبق صاحب الكتاب إليه ؟ أم هو مجرد كلام يثبت باسم البحث في صفحة ٣٦ وينفى باسم البحث أيضاً في صفحة ١٥٧ ؟ وإذا كان صاحب الكتاب لا يستطيع الاحتراس والتزام الدقة حتى في أضيق الدوائر وأيسرها وأقربها إلى ما ألف وألف الناس ، فمتى يرجى منه أن يقوم بما يوجبه البحث من الدقة والاحتراس والاحتياط ؟ ولا تنس أن عبارته هذه قد كتبها وهو يبحث عن خصائص النثر الفني في القرن الرابع ، أو هكذا على الأقل قد ترجم للباب الثاني من الجزء الأول من كتابه ، فلا يمكن أن يعتذر له عنها بالمبالغة أو التحمس كما يعتذر للناشئين ، لأن النثر الفني في القرن الرابع هو موضوع بحثه الأصيل ، وما عدا ذلك فهو ملحق به محشور فيه . فإذا كان هذا الرجل جاداً في بحثه ، يعتقد ما يقول وما يقرر ، فلماذا لا يطبقه ؟ وإن كان يطبقه فلماذا لا يتعلم كيف يحسن التطبيق ؟

محمد أحمد الغمراوي

إعجاز القرآن
في كتاب النثر الفني
للدكتور زكي مبارك

انتهت مقالات الأستاذ الغمراوي في الثورة على آرائي في إعجاز القرآن ، الآراء المبثوثة في كتاب النثر الفني ، انتهت مقالاته بأسرع مما كنت أتوقع ، ففي كتاب النثر الفني آراء في إعجاز القرآن أخطر من الآراء التي تحدث عنها بإسهاب ، ولو كنت أستظرف هذا الرجل لدللته على تلك الآراء ، فهو في أشد الاحتياج إلى أن يعلن عن نفسه بتكفير الدكتور زكي مبارك ، كما أعلن عن نفسه أعواماً بتكفير الدكتور طه حسين

لقد أشقى نفسه ، وأشقى المطابع ، وأشقى باعة الورق ، ليخرج كتاباً ضخم الحجم في نقد كتاب الشعر الجاهلي ، وهو اليوم يصوم ليدّخر ما يطبع به كتاباً أضخم وأفخم في نقد كتاب النثر الفني

أعانك الله يا أيها الأستاذ الفضال على نفسك ، فما بعد شقوتك شقوة ، ولا بعد ضياعك ضياع

وأنا مع هذا أعطف عليك ، لأنك من قراء كتاب النثر الفني ، وبقراءته ستدخل الجنة بغير حساب ، فهو تميمةٌ لنجاتك من تكفير المؤمنين بلا دليل ولا برهان

وإذا صح زعمك الآثم بأني أحارب القرآن فلن يسمع الله لك ، ولن تجد من يستريح إلى بهتانك ، يا كاتباً يؤذي الرجال باسم الدين ، وهو أجهل من أن يفهم أسرار الدين

إن مقالاتك في مجلة الرسالة كانت وبالاً عليك ، فقد صورتك بصورة من لا يفهم حرفاً واحداً من حروف القرآن ، وهي أيضاً شهدت عليك بالعجز عن الصراحة في مجادلة رجل قضى شبابه في الاعتصام بالرأي الصريح

أنت تعرف جيداً أن إدارة الرقابة بوزارة الداخلية لا تسمح بنشر المجادلات الدينية ، ومن هنا كان طغيانك ، وإلا فما الذي أسكتك عن نقد آرائي في إعجاز القرآن وقد ظهر كتاب النثر الفني قبل عشر سنين ؟

لا يؤذيني أن تزعم أني ملحد ، ولا يؤذيني أن يتفق الناس جميعاً على أنني ملحد ، فأنا أصافي الله وحده ، ولا أقيم لبني آدم أي ميزان

ولو أن الله أنعم عليك بإيمان مثل إيماني لكان لك من الوجود الذاتي ما يعصمك من الافتراء على الرجال

هل يعرف القراء هويّتك يا أيها الأستاذ الفضال ؟

استخبرت عنك فعرفت أنك أستاذ كيمياء بكلية الطب فما الذي ابتكرت في علم الكيمياء ؟

إرجع إلى المعمَل كما يعبِّر المصريون ، أو المختَبَر كما يعبر العراقيون ، واحبس نفسك هناك لتصل إلى شيء ، يا شخصاً يستر تقصيره في عمله بالتطاول على الرجال

لن تفلح أبداً ، يا هذا الشخص ، ولن يكون لك من المجد العلمي أو المجد الأدبي نصيب ، وإصرارك على الإفك بتكفير الدكتور زكي مبارك لن يزيد في إيمانك ، وهل يكون لمثلك إيمان ؟

أنا الملحد في زعمك لم أستعن بغير الله ، ولم أستنصر بغير الله ، ولم أحول وجهي إلى وجهة يتكرها الله ، وقد صرّحت مرّات ومرّات بأني لا أخاف الله إلا تأدباً مع ذاته العليّة ، فكيف أخاف الناس ؟

سهمك مردودٌ إلى صدرك ، يا هذا الفلان ، وستموت مسلولاً بفضل حقدك ، فارحم نفسك من الحقد لتعيش

بيدي — بعد استئذان الأقدار — حياتك أو موتك ، فانظر ما الذي تختار لنفسك ، يا هذا الفلان !

لم تكن أول كاتب يدعو إلى تشكيك الناس في إسلامي ، وقد اندحر من سبقوك إلى اتهامي ، فلتندحر أنت أيضاً ، وستحقّ لعنتي عليك فيكون اسمك محمد احمد الغمراوي

ولن أعاتب الأستاذ الزيات بعد اليوم على أن ينشر لك ما تريد في الغض من أقدار الباحثين ، فقد عرفتُ أن مجلة الرسالة تعبتْ من تلوّم بعض من القراء على إكثارها من الأبحاث المتسمة بالحرية الفكرية ، فهي تنشر مقالاتك لتقول إنها

حديقة تجمع بين الأزهار والحشائش ، وبين الأسود والثعابين
وأنت لجهلك فرحت بمخاصمتي لمجلة الرسالة ، فهل كنت تنتظر أن أخاصم مجلة الرسالة من أجلك إلى آخر الزمان ؟
إن قراء الرسالة سألوا عني حين غِبتُ ، ولن يسأل عنك سائلٌ حين تغيب
ومن أنت حتى يسأل القراء عنك ؟
بضاعتك تنحصر في تكفير المؤمنين
وأنا مع هـذا أعطف عليك ، لأنك من قراء كتاب النثر الفني ؛ والله عز شأنه سيتفضل فيرفع من يقرأون كتاب النثر الفني
ولكن كيف ؟
أفترع الجواب فأقول :
آرائي في إعجاز القرآن بكتاب النثر الفني آراءٌ تُقنع المستنيرين بإعجاز القرآن ، وهم الفئة التي تخاف عليها من الارتياب في إعجاز القرآن
لا خوف من إلحاد العوامّ ، فإيمانهم لن يتعرض لأيّ زلزال ، ولكن الخوف من إلحاد الخواصّ ، وقد أقنعتهم في كتاب النثر الفني بصحة إعجاز القرآن
هؤلاء الخواصّ كانوا في باليَ وأنا أؤلف كتاب النثر الفني ، فأشبعتهم إيماناً بإعجاز القرآن ، ولن يرضيهم كلامٌ غير كلامي

* * *

ثم ماذا ؟
ثم أترك محاسبتك على حقدك ، ولا أرجو الله أن يغفر لك ، فـا لمثلك مكان في فردوس الغفران
وإن بدا لك أن تعاود الإصرار على اتهامي في إسلامي فسأقول بعبارة صريحة إن إسلامك مدخول ، وإنك تستر جهلك بدعوى الغيرة على الدين الحنيف
وما غرامك بأن تُفهم قراء الرسالة أني أحارب القرآن ؟
ما هذا الغرام الأثيم بإيذاء المؤمنين يا هـذا الشخص المسلم بالصورة لا بالوجدان ؟
إن آرائي في إعجاز القرآن شرحت صدور الألوف من المسلمين ، وأقنعتهم بأن القرآن قوة روحية لا قوة لفظية ، وأن روحانيته هي السر في ظفره بالخلود
إن مجلة « الرسالة » غير مسئولة عما تصنع بنفسك ، ولو نشرتْ لك ألف مقالة لبقيت حيث وضعك القَدَر العادل أستاذ كيمياء لم يبتكر شيئاً في علم الكيمياء
اترك تكفير الدكتور زكي مبارك وتكفير الدكتور طه حسين يا هذا الفلان ، واشغل نفسك بمصيرك ، يا شخصاً لن يكون له مصير ، ولو اعتصم بالخيوط الفانية مما ينسج السراب
أنا أقنعتُ المثقفين بإعجاز القرآن ، فماذا صنعتَ أنت ؟

* * *

أما بعد فهذا جوابي لقرائي ، وهو جواب رجل يقال إنه ملحد ، ردًّا على مفتريات يذيعها عني جهولٌ يدعو إلى اتهامي في اسلامي
لك الويل يا هـذا الفلان ، فلن أترك الرد عليك ما دامت مجلة الرسالة ترى أنك أهل لنشر ما تسوق من المفتريات
ورأيي هو الرأي ، ويكفيني مجداً وشرفاً أني أقنعت المثقفين بإعجاز القرآن ، وعند الله جزائي ، وما عند الله أخلد من الخلود

زكي مبارك

وحـــدة الوجـــود
بين الفلسفة والدين

للأستاذ محمد يوسف موسى

تناول فى هذه الأيام الأخيرة مذهب وحدة الوجود بعض كتاب الرسالة وقرائها النابهين الأفاضل ، بمناسبة « رسائل التعليقات للرصافى » ونقدها الأستاذ دريني خشبة ، وكلٌّ عرض لهذا المذهب من الناحية التى يراها جديرة بالاهتمام . وقد رأى أحدهم ، وهو الأستاذ زكريا ابراهيم المعروف باصطناع الدقة فى التعبير والحكم ، أن من التعسف والخطأ والمجازفة أن يقال عن هذا المذهب إنه إفك ينطوى على كثير من الأراجيف وإنه لا يتفق وعقائد الدين الحقة

لذلك أرجو أن يكون لى التقدم بهذه الكلمة ؛ لعلها تكشف بعض الحقيقة ، أو تساعد على الوصول إليها

* * *

الذهاب إلى فكرة « وحدة الوجود » ليس إلا أحد الحلول أو الأفهام التى حاول بها المفكرون والفلاسفة فى القديم والحديث أن يحلوا أو يفهموا مسألة صلة الله بالعالم ، وقد أنتج التفكير فى هذه المسألة كثيراً من المذاهب التى وعاها الزمن وسجلها تاريخ الفلسفة

ومحيي الدين بن عربى من زعماء القائلين بهذه الفكرة ، وكان له من أجل ذلك أنصار وخصوم ؛ هؤلاء يقذفونه بالزندقة والكفر ، وأولئك يجعلونه الشيخ الأكبر وأحد أولياء الله وأصفيائه ، ولكل أمارات ودلائل ، ولا يتسع المقام لذكر ذلك أو الإشارة إليه . إلا أنى أشير إلى أن عبد الوهاب الشعرانى ، وهو من أكبر أنصار الشيخ ، حاول أن يوفق بين الشريعة وبين ما ورد فى مؤلفات الشيخ مما لا يتفق والدين ، فلم يستطع إلى ذلك سبيلاً ، فلجأ أخيراً إلى حذف ما لا يتفق وما عليه أهل السنة والجماعة من كتاب الفتوحات ، كما روى ذلك بنفسه فى مختصره لهذا الكتاب ، وتلك لعمرى خطة إثمها أكبر من نفعها !

ولكن ، ما معنى هذه الفكرة « وحدة الوجود » التى تؤدى إلى التكفير فى رأى كثير من الناس ؟ هى ، كما يتبين من كتب ابن عربى نفسها ، القول بأنه ليس هناك إلا وجود واحد هو الله والعالم كله مظاهر له ، أو بعبارة أخرى ليس جميع الممكنات إلا مظاهر للحق (الله) يتجلى فيها ولولاه لكانت عدما[1]

ومعنى هذا أن الحقيقة التى هى الوجود الحق هى ذاته تعالى : وهى فى عالم الحيوان حيوان ، وفى عالم النبات نبات ، وفى عالم الجماد جماد ؛ فالله منبث فى كل شىء من سماء وأرض وشجر وحيوان ، وما إلى ذلك كله مما خلق حتى عجل بنى إسرائيل هو بعض مجالى الله ومظاهره ، ولهذا صح لموسى عليه السلام أن يقول للسامرى : « وانظر إلى إلهك » ![2]

هكذا يقول ابن عربى ويتناسى تتمة الآية : « وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفاً » مما يدل دلالة واضحة لا تحتمل الجدل والمكابرة على ما فى خطاب موسى عليه السلام للسامرى من تهكم به ربما صنع !

وليست هذه النصوص متفردة فى مؤلفات ابن عربى ، إنها مليئة بكثير أمثالها الدالة على هذه النظرية الغامضة الصعبة التصور والعسيرة الفهم ، والبعيدة عن العقل والدين فيما أرى ، ويرى كثير غيرى إنها لا تتفق مع الدين الذى يرى وجود موجودين ـ الله والعالم ـ متباينين فى كل شىء ومنفصلين تمام الانفصال ، أحدهما وجوده رهن بإرادة الآخر ؛ ولا تتفق كذلك معه بحال ما ، ما دام الدين ينزه الله عن أن يكون أشرف مخلوقاته مجلى ومظهراً له ، فكيف بعجل بنى إسرائيل وما دونه

ولا تتفق كذلك مع العقل الذى يرفض أن يؤمن بشىء يعجز عن إدراكه على أى نحو كان ، كما أنه لا يرى ضرورة للإيمان بها فى سبيل فهمه الله والعالم والعلاقة بينهما

ولعل رفض العقل والشرع لفكرة وحدة الوجود هو الذى جمل بعض المفتونين بابن عربى يبرئونه من القول بها أو الذهاب إليها ؛ أمثال السراج البلقينى والسيوطى والشعرانى وعبد الغنى النابلسى[3] ، ولكن كيف يمكن هذا ، والفتوحات والفصوص قاما على هذا المذهب ولا يستطاع تأويلهما جميعاً !

قد يقبل الإغماض فى عبارة يجرى بها لسان صوفى أخذه الوجد ، وارتفع به الحال ، وشاهد ما لا نشاهد ، فقال فى لحظة من لحظات التجلى والمشاهدة : أنا الحق — مثلاً ! — ولكن ليس من المقبول الإغماض فى نظرية قام عليها مذهب ، وامتلأت بها كتب ، وسجلها صاحبها وهو هادئ النفس يحس بما يقول ويقدره قبل أن ينطق به !

(١) الفتوحات ج ٢ : ٢١٥ — ٢١٦ (٢) شرح الفصوص ص ٢٣٦ وما بعدها (٣) كتابى : فلسفة الأخلاق فى الاسلام وصلاتها بالفلسفة الأغريقية ص ١٩٦

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٧٠ — إن الكفاف لراهب أو زاهد

أبو القاسم عامر بن هشام القرطبي :

قالوا : الكفاف مقيم . قلت : ذاك لمن
لا يستخف إلى بيت الزراجين[1]
ولا يبلبله هبُّ الصَّبا سحراً ولا يلطفه عرف الرياحين
ولا يهيم بتفاح الخدود ورمان لم
الصدور وترجيع التلاحين

(١) من قصيدته المسماة عند أهل الأندلس بكفر الأدب . وقد قالها لما زين له بعض أصحابه الرحلة إلى حضرة ملك الموحدين : مراكش . (الكفاف) في المصباح : قوته كفاف أي مقدار حاجته من غير زيادة ولا نقص سمي بذلك لأنه يكف عن سؤال الناس ويغني عنهم (يستخف) يسرع والمعروف خف (الزرجون) الخمر . فارسية معربة أي لون الذهب (اللسان)

لقد أبنت رأيي بوضوح وتفصيل في ابن عربي — معتمداً على مؤلفاته — من الناحية الدينية والأخلاقية ، في كتابي الذي ذكرته بالهامش ، وأتبعت ذلك رأي ابن تيمية فيه وفي أمثاله ، وفعلت ذلك للعلم وحده ولتوفية ما يجب للدراسات العلمية من أمانة وعدم تعصب ، ولا أريد هنا أن أذكر شيئاً مما ذكرته هناك في هذه الناحية

ولعل الأخ الفاضل الأستاذ زكريا ابراهيم لا يرى بعد هذا أن من التعسف والخطأ والمجازفة وصف مذهب وحدة الوجود بأنه إفك ينطوي على كثير من الأراجيف ، بل لعله يرى أن هذا الوصف فيه غير قليل من الاعتدال !

وأما القول بأن «من دأب العامة أن تتمرد على كل ضرب من ضروب الامتياز» ، ولهذا «ليس أيسر على الناس من أن يقرفوا الفلاسفة والمفكرين بالكفر والإلحاد» ، فلن يصرف من يرى الحق أن يصدع به ، ومع هذا ، ليت شعري أكان الغزالي وأمثاله من العامة ؟ على أني أرى أن نتشدد جميعاً ونقتصد اقتصاداً كبيراً في الحكم بالتكفير والزندقة والإلحاد ونحو هذا مما يتصل بالعقيدة والدين . **محمد يوسف موسى**

٢ ـ ٢٣

٥٧١ — فأصلح الأمر أن يبقوا مفاليسا

الحسن بن شاو المعروف بابن النقيب :

في الناس قومٌ إذا ما أيسروا بَطِروا
فأصلحُ الأمر أن يَبقَوا مفاليسا
لا تسألِ الله إلا في خمولهم
فهم جيادٌ إذا كانوا مناحيسا

٥٧٢ — ما تطاق في الشعر يا أصمعي !

إسحق الموصلي : سأل الرشيد عن بيت الراعي :

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحرماً ودعا فلم أر مثله مخذولا

ما معنى (محرما) ؟ فقال الكسائي : أحرم بالحج . فقال الأصمعي : والله ما كان أحرم بالحج ، ولا أراد الشاعر أنه أيضاً شهر حرام فيقال : أحرم إذا دخل فيه كما يقال : أشهر إذا دخل في الشهر ، وأعام إذا دخل في العام . فقال الكسائي : ما هو غير هذا . فقال الأصمعي : ما أراد عدي بن زيد بقوله :

قتلوا كسرى بليل محرما فتولى لم يُمتَّع بكفن[1]

أي إحرام لكسرى ؟ فقال الرشيد فما المعنى ؟ قال : كل من لم يأت شيئاً يوجب عليه عقوبة فهو محرم لا يحل منه شيء . فقال الرشيد : ما تطاق في الشعر[2] يا أصمعي !

٥٧٣ — ليس له عدو بين أضلاعه إلا معدته

قال أبو الفرج الأصبهاني : وجدت في كتاب الشاهيني : أنشد أبو الحارث جميد قول العباس بن الأحنف :

قلبي إلى ما ضرني داع يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
إن دام هجرك لي يا مالكي أوشك أن ينعاني الناعي

فبكى ثم قال : هذا شعر رجل جائع في جارية طباخة مليحة ، فقيل له : من أين قلت ذاك ؟ قال : لأنه بدأ فقال : (قلبي البيت) ، وكذلك الإنسان يدعوه قلبه وشهوته إلى ما ضره من الطعام والشراب فيأكله فتكثر علله وأوجاعه ، وهذا تعريض ثم صرح فقال : (كيف احتراسي : البيت) ، وليس للانسان عدو بين أضلاعه إلا معدته ، فهي تتلف ماله ، وهي سبب أسقامه ، وهي مفتاح كل بلاء عليه ، ثم قال : (إن دام لي : البيت) ، فعلمت أن الطباخة كانت صديقته ، وأنها هجرته ففقدها وفقد الطعام ، فلو دام ذلك عليه لمات جوعاً ، ونعاه الناعي

(١) يريد قتل شيرويه أباه أبرويز بن هرمز (٢) في فهمه ، فهم غريبه

الطبيعة فى الصيف

جـــلاد الظلال ...

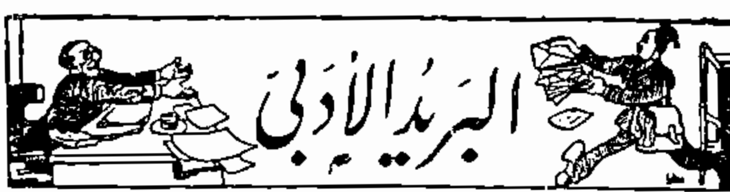
« الأبحر »

[الجزيرة فى هاجرة الصيف]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

دعوها على راحاته الخضر ترتمى   فقد شفها برح الهجير المسمم
رمت فوقه أشجانها وتنفست   إليه بشكوى عابر لمخيم
ولاذت به مفطورة ، فظلالها   أسارير وجه اليائس المتجهم
وأدواحها ركبان دون أحالهم   ضلال الفلا أصنام دير مهدم
تناجت بصمت أيقظت جسانه   يمامات ظهر صاحيات كنوم
هففن ، وذرّفن التغنى صبابة
تخطفن إحساس الغصون المتكتم
وأغفت على حضن من الموج نائم   بخيل الرؤى إلا على كل ملهم
هو النيل رباها على الحب والهوى   وعانق شطيها عناق المتيم
وطوق جنبيها فلاحت غريبة   على ساعديه من أسى البين تحتمى
وتحكى له أشجانها ، وحديثها   يغني بلا عود ، ويشكو بلا فم
تضوع غراماً وانتظاراً وحيرة   وشعراً إلى غير الهوى لم ينغم
يمر على محرابها الناس غفلاً   كما مر بوذى على دار مسلم
وتسرى حواليها السفائن خشعاً   سرى تائب فى كعبة الله محرم
تشق عباباً مات همهاس موجه   فلاح كمشتاق إلى نفسه ظمى
ولولا خطا تياره لحسبتها   تماثيل طير فى سراب مدوم
لها شرع بيض الحواشى متونها   كأعلام جيش مستجير مسلم
سكون ولكن فى حنيات صدره   بقايا لهاث الشد فى قلب مجرم
وأقعي على الأسوار قيظ رأيته   يطل بوجه الحانق المتندم
يلوح لجلاد الظلال وهذه   سياط اللظى منه طوال التضرم
يكدن يحان الظل وهماً وغصنه   تهافت مفزوع عميق التوهم
تشاكى من التعذيب فرع وطائر   وعشب فكان الروض إيحاء مأتم
وأوقف نعش الريح لا كف لا حد
ولا خطو بكاء كثير الترحم
تعرى عن الأستار ، فهو مكفن
بضوء على الأغصان حيران معجم
شواظ ولا نار ، ونار ولا لظى   ورؤيا لهيب فى خيالى وفى دمى
وموقد عبادين مات لهيبه   وشبت أغانيه سعيراً بأعظمى
وكدت أرى والنار لم تبد سجدة   مجوسية قامت على كل مجثم
وركباً من التهويد تخفى وجوهه   وتنظر من وجه الأثيم الملثم
وحائرة من عالم الزهر أطرقت   حداداً على عطر الصباح الملمم
مقيدة ، ملهوفة ، ذات آهة   مقيدة تبدو كطيف مجسم
تمد يديها للغدير ، وقلبه   إلى عودها يجرى بكوب محطم
أظمآى تنادى ظامئاً ؟ من رأى الأسى
يغيث الأسى فى الخاطر المتألم ؟ !
لقد بح صوت الجو برحاً ولهفة   كما بح سر الغيب صوت المنجم

وهاجرة يشوى بها الظل مثلما   يقلب فى الأشواق قلب المتيم
لها وهوهات فى الربى خلت أنها   فحيح أفاع من زوايا جهنم
رميت بها حران أحكى حكاية   عن الصيف لم أنبس ولم أتكلم
ولكنني أروى عن الوحى كيفما   روى لى بأطياف الخيال المهوم
لنفسى أحكيها ، ومن هول سحرها
طلاسم سمع الغافلين المختم ...
رأيت جحيماً لم تباركه فارس   بعباد نار من بنيها مزمزم
ولم يرن طواف إلى قبساته   بقلب من التسبيح شاد مرنم
ولا حدثت عنه الخرافات أهلها   ولا خط عنه الوهم حرفاً برقم
له وهج يصلى الوجوه بحره   ويفهق كاليحموم فى مسرب الدم
وألسنة بيض لهن رطانة   بمثل لغاها كاهن لم يتمتم
كأن عفاريت الظهيرة طنبوا   خياماً على هذا البساط المضرم
تنادوا بألفاظ صداها وساوس   سمت معانيها بآذان أعجم ...
رجو غضوب الذر يكظم نقمة   ويكتم غيظ الساخط المتبرم
شممت به ريح الماضى سخينة   محملة الأنفاس من كل مأثم
يفح لجراع الشكوك هواجساً   لهن دبيب السم فى رأس أرقم
وألحد صوفى النخيل ، فما أرى   به هزة كانت إلى النسك تنتمى
لقد كان رعاش الأيادى تبتلاً   إلى الله لم يدنس ، ولم يتأثم
ولم يجن ذنباً يبتغى عنه توبة   مع الناس يدعوها بكف ومعصم
أما قام فى الفجر الرطيب مؤذناً   يصيح بتكبير على العقل مبهم
فما باله أصغى وأصغت ظلاله   كمنتظر حكم القضاء المحتم !
وألقى على الأفق المصفد نظرة   كأصفاد عيسى والتفاتات مريم
وأزهق إحساس الطبيعة ، فاغتدت
تحزن على كتم الشكايات مرغم



حمد وشكر

أسرة الرسالة تحمد الله على ما أسبغ من نعمة العافية على رئيس تحريرها . وتنوب عنه فى شكر الأمم العربية قاطبة ، أفراداً وجماعات لما طوقته به من كريم رعايتها وجميل برها ونبيل عواطفها ، وسؤالها المتصل عنه أثناء مرضه ، مما كان له أطيب الأثر فى تخفيف ألمه وسرعة إبلاله . وإن لم يكن بد من أن تخص بالشكر أحداً فهى تقدمه خالصاً موفوراً إلى صديقها الفاضل الدكتور عبد الله الكاتب بك الذى أجرى العملية للأستاذ الزيات بمستشفى الروضة ، وتولاه بعنايته حتى تماثل للشفاء . ثم تخص بالشكر وزراء مصر ونوابها وعلماءها ، وكل من تفضل بالسؤال عن الأستاذ بحضوره إلى المستشفى أو بإرسال البرقيات والرسائل ، وتبتهل إلى الله اللطيف أن يتم للأستاذ من كمال الشفاء ما هو أمنية أصدقائه ومحبيه ، إنه سميع مجيب .

البستان

أهدى الأديب الكبير والأستاذ الجليل إسعاف بك النشاشيبي مجموعة من مؤلفاته إلى صديقه الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن . ومنها كتاب « البستان » الذي هو مجموعة من الشعر والنثر أحسن الأستاذ الجليل فيها الاختيار . فكتب إليه الشاعر هذه الأبيات :

بستانك الناضر فى حسنه لله ما أبهى وما أفتنا !
أمتعتنى منه بما يَستَبى ويخلبُ الألبابَ والأعينا
آويتنى منه إلى روضةٍ آنستُ منها الظلَّ والمجتَنى
فى كل سطر منه تفريدةٌ يُوشك منها العقلُ أن يُفتنا
جمتَ فيه كلَّ أصلٍ زكا ورُمتَ فيه كلَّ فرعٍ دنا
واخترتَ من نظم ونثرٍ به ما جوَّدَ المنشئُ أو أتقنا
ما كنتَ فيه كاتباً منشئاً بل كنتَ فيه راوياً محسناً
ورب شعر أنت أحييته وكاد بالنسيان أن يُدفنا
هذا اختيارٌ فيه من عقلكم ما قد رأيناه عياناً هنا
فى فندقٍ[1] ذكرنا « بابلاً » قد بَلْبَلَ الله به الألسنا
فى موطن العجمة مِنْ حيِّه صادَفتِ (الضادُ) لها موطنا
أيامَ ما انحلَّ لكم مجلسٌ صبحاً ولا انفضَّ لكم موهنا[2]
تُديرُ فيه القولَ مستوعباً وتنشُدُ الأشعار مستحسنا
تلك الليالى البيضُ يا سيِّدى لم يبق منها غير حُلو المنى

تكرار « بين » بين الاسمين الظاهرين

تفضل الأستاذ دريني خشبة فأصدر مقاله القيم فى الرسالة عدد ٥٦٩ معنوناً على هذا الوجه : بين « أنات حائرة » وبين « قيس ولبنى » ، فجاءت « بين » مكررة بين الاسمين الظاهرين ، كما جاء فى الرسالة العدد ٢٧٣ ص ١٥٧٤ فى البريد الأدبي بعنوان : « وزير المعارف يحكم بيننا وبين لجنة إنهاض اللغة العربية » ، جاء تحت نفس العنوان ما يأتى :

« وصنيع الأستاذ هيكل باشا هو الفرق بين وزير يقرأ

(١) إشارة إلى فندق « الكنتننتال » ، وفيه عصبة أدبية رفيعة كان يزينها الأستاذ الجليل ... (٢) الموهن : نحو من نصف الليل

كأن ثكالى مخرسات على الربى
شليلات همس الروح والجسم والفم
وقفن عليها ينتظرن معزياً
وطرف المعزِّى عن طريق الأسى عمى
طرحن مناديل الظلال على الثرى وكاد يهن العود كالظل يرتمى
وأطرق فيها كل شىء فما بها سوى طيف مصلوب وإعياء مسقم
كأن القصور الشامخات بأرضها محاريب جن فى مزار محرَّم
يطن حواليها الهجير كأنه تخافت عار حول عرض مثلَّم
وينفخ كالحداد ناراً شرارها تناهش خزى في ضمير مذمم
مشيت بها حيران أشبه خاطراً بقلب ملول جازع اليأس مظلم
أفتش عن سحر الربيع وعطره كأنِّىَ نقَّابٌ بأحشاء منجم
لقد مات ! واغتالت مغانيه بغتة
كما اغتال عصف الشك أحلام مغرم
ألا أين هفهاف النسيم بأيكها وأينَ مزامير الضحى المتبسم ؟
وأين أغانى الموج والموج شاعر وإن لم يُذِعْ شعراً ولم يترنم
وأين الهوى إنى حملت ربيعهُ بقلب من الأشواق عات مدمدم
وهمت على صيف الجزيرة شارداً بحبي كسرٍّ فى حشاها مطلسم
أحب لياليها ، وأهـــوى تُرابها
وأهوى غروب الشمس فى أفقها الظمى
فقدْت أليف الروح بين شعابها وعدت بحزن المستطار المتيم
كأنى هجير تائه فوق أرضها يغنى بناى من أسى النفس ملجم

محمود حسن اسماعيل

ويقضى وبين وزير آخر يسمع ويعضى » ، ونعتقد أن الصواب هو عدم جواز تكرار « بين » بين الاسمين الظاهرين

وكنت قد قرأت للمؤرخ واللغوى العراقى النسى المرحوم « رزوق عيسى » صاحب مجلة «المؤرخ» البغدادية رأياً فى هذه القضية وجدته فى بعض المسودات من تراثه الأدبى القيم أرغب فى عرضه على أنظار حضرات أساتيذ اللغة ليبدوا رأيهم فى ذلك وإليكم النص عنه :

« من أوهام فريق كبير من كتاب العربية أنهم يوسطون «بين» بين الاسمين الظاهرين المتعاطفين فيقولون مثلا : (الحرب قائمة على ساق وقدم بين اليابان وبين الصين) ، والصواب : بين اليابان والصين ، لأن «بين» تقتضى الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع ، ولإثبات صحة ما نحن بصدده ننقل بعض ما جاء فى كتاب « درة الغواص فى أوهام الخواص » للحريرى : « ويقولون المال بين زيد وبين عمرو » بتكرير لفظة « بين » فيوهمون فيه . والصواب أن يقال : «بين زيد وعمرو» ، كما قال سبحانه وتعالى :ـ « من بين فرث ودم » ، والعلة فيه أن لفظة «بين» تقتضى الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع ، كقولك : « المال بينهما والدار بين الأخوة » ... قال الشيخ الرئيس أبو محمد ـ رضى الله عنه ـ : وأظن الذى وهمهم لزوم تكرير لفظة «بين» مع الظاهر ما رأوه من تكريرها مع المضمر فى مثل قوله عز وجل : (هذا فراق بينى وبينك) ، وقد وهموا فى المماثلة بين الموطنين ، وخفى عليهم الفرق الواضح بين الموضعين ، وهو أن المعطوف فى الآية قد عطف على المضمر المجرور الذى من شرط جواز العطف عليه عند النحويين من أهل البصرة . تكرير الجار فيه ، كقولك : مررت بك وبزيد . قال أبو القاسم المرتضى :

بينى وبين عواذلى   فى الحب أطراف الرماح
أنا خارجى فى الهوى   لا حكم إلا للملاح

وقد جوز بعضهم إعادة «بين» بين اسمين ظاهرين ، ومنهم السيد أحمد شهاب الدين الخفاجى ، ولكنه مذهب ضعيف يناقض ما ورد فى الفرقان المظم من الآيات البينات فى عدم إعادة «بين» مع الاسمين الظاهرين . قال ابن برى : إعادة «بين» هنا جائزة على جهة التأكيد ، وهو كثير فى كلام العرب ، كقول الأعشى :

بين الأشج وبين قيس باذخ   بخ بخ لوالده وللمولود

وقال عدى بن زيد : بين النهار وبين الليل قد فصلا . وقال ذو الرمة

بين النهار وبين الليل من عقد   على جوانبه الأوساط والهدُب

وقد علق (الخفاجى) على هـذا فى كتابه « شرح درة الغواص فى أوهام الخواص » ص ٩٤ قائلا : فمن هنا يعلم أن إعادة «بين» لا تفسد نظماً ولا معنى كما توهمه المصنف ـ أى (الحريرى) ـ

وجاء بحث مفصل عن « بين » فى كتاب « كشف الطرة عن الغرة » للسيد محمود شهاب الدين الآلوسى ص ١٣٦ ومن قوله : « ومن أوهامهم أنهم يوسطون « بين » بين الاسمين الظاهرين المتعاطفين فيقولون : « المال بين زيد وبين عمرو » . والصواب : « بين زيد وعمرو » بترك التوسط والتكرير ، لأن « بين » تقتضى الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع ، كقولك : (المال بين الأخوين ، والدار بين الأخوة) .

هذا ما أردنا بيانه ، والمرجو أن نقع على الصواب الذى يراه أساتذة اللغة الكرام

«بغداد» ضياء الصبح أبو الحب

الغموط

قرأت فى عدد الرسالة ٥٧٣ قصيدة عنوانها « السراب » للدكتور ناجى ، وهى من عيون الشعر الحديث ، غير أنى مررت فيها بهنات أحببت أن يعلمها الشاعر الكبير وقراء الرسالة :

١ — القصيدة من بحر الخفيف وأجزاؤه : (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) ، وقد تصير فاعلاتن فَعِلاتن أو مفعولن ، وقد تحول مستفعلن إلى مُتَفْعلن ، ولكن البيت :

اسمك العذب أروع الأسماء مهما تعددت أسماء

لا يوافق هذا البحر ، ولا ما تحول إليه أجزاؤه ، فهو بيت مكسور

٢ — لا أعرف فى اللغة (صدفة) ولا (هناء) ، وإنما أعرف مصادفة وهناءة ، وكذلك لفظ (الأبد) يعرفه اللغويون بمعنى الزمن ، ولكن الشاعر يقول :

أبد لا يحد للعين قد ضا   ق فأمسى والسجن هذا الفضاء

ولا يفوتنى أن أقول إن الشاعر عبد الغنى حسن له قصيدة فى نفس العدد وفيها : « تتلاشى على الرمال وتنثر » ، ولا أعرف فى اللغة (تتلاشى) هذه ، فلعل الشاعرين يدلان فى وقراء الرسالة على مصدر صحة هذه الكلمات

٣ — العواصف الهوجاء وأمواجه السوداء عبارتان مغلوطتان ، وصوابهما : (الهوج) و (السود)

٤ — ولست بدار الفرق بين سنة مقفرة وسنة خالية ، وهما متقابلتان فى شعر الدكتور

هذا وللشاعر الكبير تقديرى واحترامى   على محمد حسن
مدرس بالأزهر